ذكرى مُعْجِزَة الإِسْرَاءِ وَالمِعْـــرَاج (2)

إخوة الإيمان: لا زلنا مع الحديث عن ذِكْـــرَى مُعْجِـــزَةِ [الْإِسْرِاءِ وِالْمِعْرَاجِ] كانت رحلة الإسراء والمعراج اختباراً جديداً للمسلمين في إيمانهم ويقينهم، وفرصة لمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم عجائب القدرة الإلهية، والوقوف على حقيقة المعاني الغيبيّة، والتشريف بمناجاة الله في موطنٍ لم يصل إليه بشرٌ قطّ، إضافةً إلى كونها سبباً في تخفيف أحزانه وهمومه، وتجديد عزمه على مواصلة دعوته والتصدّي لأذى قومه، فقد شهدت الأيّامُ السابقة لتلك الرحلة العديد من الابتلاءات، ومع اشتداد المحن وتكاثر الأحزان، كان النبي صلى الله عليه وسلم في أمسّ الحاجة إلى ما يعيد له طمأنينته، ويقوّي من عزيمته، فكانت أسعد اللحظات إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم، حينما تشرّف بالوقوف بين يدي الله ومناجاته، لتتصاغر أمام عينيه كل الأهوال التي عايشها، وكل المصاعب التي مرّت به، وهناك أوحى الله إلى عبده ما أوحى، وكان مما أعطاه الله تعالى خواتيم سورة البقرة، وغفران كبائر الذنوب لأهل التوحيد الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم أي بشرك، عباد الله: بِمُنَاسَبَةِ هَذِهِ الذِّكْرَى التَّارِيخِيَّةِ الْعَطِرَةِ، اِخْتَرْتُ أَنْ يَكُونَ عُنْوَانُ خُطْبَةِ الْيَوْمِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ: مَشَاهِدُ مِنْ أَحْدَاثِ مُعْجِزَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْـــرَاجِ، الْمِعْـــرَاجِ الذي تمَّ بقدرة الله من المسجد الأقصى إِلَى عَالَمِ السَّمَاءِ حَيْثُ نَاجَى رَبَّهُ، بَعْدَ أَنْ أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ عَجَائِبِ آيَاتِهِ الْكُبْرَى، لقوله تعالى: لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، فَمِنْ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي وَقَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله وصحبه وسلم خِلَالَ هَاذه الرحلة السماوية، الْمَشْهَدُ الْأَوَّلُ: حَالُ تَارِكِ الصَّلَاةِ، فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله وصحبه وسلم عَلَى قَوْمٍ تُرْضَخُ أَيْ: تُدَقُّ وَتُكْسَرُ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرَةِ، كُلَّمَا رُضِخَتْ أَيْ: تَكَسَّرَتْ وَتَنَاثَرَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَالَ: مَا هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَثَاقَلُ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَبِسَبَبِ تَثَاقُلِهِمْ عَنِ الصَّلَاةِ كَانَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ تُرْضَخَ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ، مَا دَامُواْ لَا يَسْتَمِعُونَ لِدَاعِي اللَّهِ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا الْمَشْهَدُ الثَّانِي: حَالُ مَانِعِ الزَّكَاةِ، فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله وصحبه وسلم عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ، وَيَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ وَالزَّقُّومَ، وَرَضْفَ جَهَنَّمَ وَحِجَارَتَهَا! قَالَ: فَمَا هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِي لَا يُؤَدُّونَ زكاة أَمْوَالِهِمْ، فَبِسَبَبِ بُخْلِهِمْ كَانَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ يُحْرَمُواْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوْبٍ سَابِغٍ يَسْتُرُ أَجْسَادَهُمْ، وَإِنَّمَا الَّذِي نَالُوهُ فَقَطْ رِقَاعٌ عَلَى السَّوْءَتَيْنِ، وَضَرِيعٌ وَزَقُّومٌ وَرَضْفُ جَهَنَّمَ وَحِجَارَتُهَا، يَأْكُلُونَهَا فَتَقْطَعُ أَمْعَاءَهُمْ.. أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: الْمَشْهَدُ الثَّالِثُ: خُطُورَةُ الْأَمَانَاتِ، فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله وصحبه وسلم عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حِزْمَةَ حَطَبٍ عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدَهُ أَمَانَاتُ النَّاسِ، لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَهَا، فَالْأَمَانَاتُ أيها الإخوة بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا حِمْلُهَا ثَقِيلٌ، وَحِسَابُ مَنْ ضَيَّعَهَا عَسِيرٌ، يَوْمَ يَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُنِيرِ: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا... وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله وصحبه وسلم إِلَّا قَالَ: لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، الخطبة الثانية... عباد الله: ثبت في السنة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بعض المعذبين ليلة المعراج، بل جاء فيها أنه نظر في النار، ورأى بعضهم فيها، روى أحمد وأبو داود عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ أي كانوا يغتابون الناس في الدنيا[صححه الألباني، وشعيب الأرنؤوط]وروى أحمد، وابن حبان عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ[تحقيق المسند]وروى أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الإسراء: قَالَ: فَمَضَى فَلَقِيَهُ شَيْخٌ جَلِيلٌ مَهِيبٌ فَرَحَّبَ بِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَكُلُّهُمْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، قَالَ: مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، قال صلى الله عليه وسلم لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بِي فقالَ: يا محمَّدُ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ، وبعد هذه المشاهدات التي كانت تثبيتا للرسول وتوجيها لأمته، عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكّة، وأخبر الناس من عجائب ما رءا، فانطلق أبو جهل ينادي بالناس ليسمعوا هذه الأعجوبة، فصاحوا متعجّبين، ووقفوا ما بين مكذّب ومشكّك، وارتدّ أناسٌ ممن آمنوا به ولم يتمكّن الإيمان في قلوبهم، وقام إليه أفرادٌ من أهل مكّة يسألونه عن وصف بيت المقدس، فشقّ ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الوقت الذي بقي فيه هناك لم يكن كافياً لإدراك الوصف، لكنّ الله سبحانه وتعالى مثّل له صورةَ بيت المقدس فقام يصفه بدقّةٍ بالغةٍ، حتى عجب الناس وقالوا أما الوصف فقد أصاب، وفي ذلك الوقت قيل لأبي بكر رضي الله عنه يسألونه عن موقفه من الخبر، فقال لهم: أوقالها؟ قالوا: نعم، قال والله إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فأطلق عليه من يومها لقب الصديق، لأن مقتضى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إلا بما شرع، ففي تصديق أبي بكر رضي الله عنه إبرازٌ لأهميّة الإيمان بالغيب والتسليم له طالما صحّ فيه الخبر، وفي ردّةِ ضعفاءِ الإيمان تمحيصٌ للصفّ الإسلامي من شوائبه، حتى يقوم الإسلامُ على أكتاف الرّجال الذين لا تهزّهم المحن أو تزلزلهم الفتن، وفي تكذيب كفارِ قريشٍ للنبي صلى الله عليه وسلم وتماديها في الطغيان والكفرِ تهيئةٌ من الله سبحانه لتسليمِ القيادةِ إلى القادمين من المدينة، وقد تحقّق ذلك عندما طاف النبي صلى الله عليه

وسلم على القبائل طلباً للنصرة، فالتقى بهم وَعَرَضَ عليهم الإسلام، فبادروا إلى التصديق والإيمان، ليكونوا سبباً في قيام الدولة الإسلامية وانتشارِ دعوتها في الجزيرة العربية.

خطبة الجمعة ليوم 31 يناير 2025 م